Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (4), Issue (11): 30 Nov 2020
P: 55 - 70

ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (4)، العدد (11): 30 نوفمبر 2020 م
ص: 55 - 70

Grammatical inclusion in Diwan Al-Hamasa by Abu Tammam: An Applied Study

Ahmad Abdelsalam Saleh Alsawadheh

Ministry of Education || UAE

Abstract: This research aims at studying the phenomena of (grammar implication) in (Hamasah collection of poems) and it includes the various ideas that appeared in various references. For example; interpretation of Quran، Arabic Grammar and rhetoric aiming at observing this phenomenon in order to be applied on this collection of poems and its essence to reach the implication borders based on scientific study of this collection of poems.

Keywords: Include - Grammatical - Rhetorical - Exhortation.

التضمين النحوي في حماسة أبي تمام: دراسة تطبيقية في مصادر التفسير والنحو والبلاغة

أحمد عبد السلام صالح السوادحة

وزارة التربية || الإمارات

الملخص: هدف هذا البحث إلى دراسة ظاهرة (التضمين النحوي) في (ديوان الحماسة)، وقد عضَّدنا لما ذهبنا إليه بمراجع متعددة، من التفسير والنحو والبلاغة؛ رغبة منَّا في رصد الظاهرة: تطبيقًا في الديوان، واستكناهًا لحدود التضمين؛ بالدراسة العملية في الأبيات الواردة به، والتزمنا بالمنهج الاستقرائي؛ عن طريق رصد أقوال النحويين والبلاغيين، مع اللجوء لكتب التفسير المختلفة؛ للاستشهاد للبيت الذي يتضمن الظاهرة محل الدراسة، وتوصلنا إلى التقاء كتب النحو والبلاغة في رصد ظاهرة التضمين، وإن اختلف كل فريق في تأصيل ومعالجة الظاهرة، كلٌّ بحسب منهجه، مع توسط المفسرين في الأخذ باستدلال الفريقين.

الكلمات المفتاحية: تضمين – نحوي- بلاغي- الحماسة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المتقين، نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله أجمعين.

وبعد، فهذه دراسة في ظاهرة (التضمين في ديوان الحماسة)، لأبي تمام الطائي، وقد عُنيت – فيها- بتأصيل مصطلح (التضمين)، وبيان المقصود به، ورصد الحدود الفاصلة له، بين النحويين والبلاغيين، حيث يتلاقى الطرفان في سبك لفظين في معنى واحد، كما يجمعهما رصد القرينة التي تجمع بين معنى اللفظين: المتضمَّن والمتضمَّن فيه، وإن اختلفت الوسائل عند كلا الطرفين، فبينما يلجأ النحويون إلى الوسائل النحوية، من تقدير المحذوف، ومراعاة دلالات الحروف، لا سيما حروف الجر، وغير ذلك من الوسائل النحوية التي نبَّه إليها النحويون القدماء، نجد الأمر مختلفًا لدى البلاغيين؛ إذ يميلون –بطبيعتهم- إلى رصد العلاقة المعنوية؛ إذ يُحال التضمين إلى أبواب بلاغية، ومنحى بلاغي أصيل، من علاقات العام والخاص، والمجاز المرسل، وما إلى آخره من الوسائل البلاغية، التي نصَّ عليها البلاغيون القدماء.

وتشرفًا بأن يندرج في بحثي –هذا- أسماء أولئك الكواكب السوامق، من جلة النحويين والبلاغيين، والمفسرين، فقد آثرت أن أنحو منحى نحويًّا لغويًّا، لا يمانع في الاستعانة بالشواهد من كتب البلاغة، وهو ما ارتأيته وسطًا يجمع بين أوساط القوم.

إشكالية الدراسة وأسئلتها.

يثير البحث إشكالية (التضمين النحوي)، ومناقشة حدوده المميزة له- بما في ذلك- رصد شواهده في (ديوان الحماسة)، لأبي تمام الطائي.

وقد لاحظ الباحث التباين في الحدود التي تميز التضمين النحوي، عنها عند البلاغيين، مما أثار عدة تساؤلات:

1. ما الحدود التي تميز التضمين في علوم النحو والبلاغة والتفسير؟
2. ما تصنيف الشواهد التي وردت في (ديوان الحماسة)، تتناول تلك الظاهرة؟
3. كيف أدرج النحويون والبلاغيون ظاهرة التضمين في مؤلفاتهم؟
4. ما موقف المفسرين من قضية التضمين؟

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في كونه يتناول ظاهرة شغلت اهتمام كثير من الدارسين قديمًا وحديثًا، وحسبنا أن نعلم ورود تلك القضية في مؤلفات الأطياف المعنيَّة بدراسة اللغة العربية: النحويين، البلاغيين، والمفسرين، على الرغم من اختلاف الزمن والاتجاه، وهو ما يكسب ظاهرة (التضمين) خصوصيتها وأهميتها.

منهج البحث:

اتبع الباحث المنهج الاستقرائي، من رصد الشواهد الشعرية التي يوجد –بها- التضمين، وتناولها على المستوى اللغوي، والنحوي، والبلاغي، مع الاستعانة بكتب التفسير، ناقلًا الشواهد التي تعضد للشاهد، مع إيراد رأيي المتواضع، في نهاية كل مسألة، وهو ما التزمته في الجانب التطبيقي من البحث.

الدراسات السابقة:

وقد تناولت عدة دراسات ومؤلفات ظاهرة (التضمين)، وهو ما أفاد الباحث في بحثه، وهي:

- **(التضمين النحوي في القرآن الكريم)**، تأليف: محمد نديم فاضل، دار الزمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1426هـ- 2005م. وقد تناول فيها ظاهرة التضمين في القرآن، مع العناية بربط الشواهد بكتب النحو والتفسير والبلاغة.
- **(التضمين في العربية: بحث في البلاغة والنحو)**، تأليف: أحمد حسن حامد، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، 1422هـ – 2001م. وتناول المؤلف –فيها- ظاهرة التضمين عند النحويين والبلاغيين، وبيَّن الحدود الفاصلة بين وسائل النحويين في التعامل مع التضمين، بتقدير المحذوف وغيره من الوسائل، ووسائل البلاغيين في تناوله؛ بإدراجه في المباحث البلاغية، كالمجاز المرسل وغيره.
- **(ظاهرة التضمين في النحو العربي وموقف النحاة منها)**، تأليف: عيشة أبو الفتوح سيد أحمد الحداد، حولية كلية الدراسات العربية والإسلامية للبنات بالزقازيق، ع6. وتناولت –فيها- تعريف النحويين والبلاغيين

للتضمين، وأوردت صور التضمين النحوي، وناقشت موقف العلماء من التضمين النحوي، والتضمين في الأسماء، والتضمين في الأفعال.

- **(التضمين النحوي في الحديث الشريف)**، تأليف: فلاح إبراهيم نصيف الفهداوي، جامعة حمد بن خليفة، كلية الدراسات الإسلامية، دولة قطر. وتناول –فيها- موقف النحويين من التضمين، وعلاقة لغات العرب بهذه الظاهرة، وناقش تضمين الأفعال ونيابة الحروف، مع إيراد آراء العلماء في مسائل التضمين المختلفة.

خطة الدراسة:

وتكونت الدراسة من مقدمة ومبحثين وخاتمة، وعلى النحو الآتي:

- **المقدمة**: وتضمنت؛ إشكالية الدراسة وأسئلتها، أهمية البحث، منهج البحث، الدراسات السابقة.
- **المبحث الأول: تأصيل المصطلح وحدوده**، وفيه أربعة مطالب: الأول: التعريف بأبي تمام، المطلب الثاني: التعريف بديوان الحماسة، المطلب الثالث: تأصيل المصطلح؛ آراء النحويين والبلاغيين والمفسرين في (التضمين)، مستدلًّا بالشواهد المختلفة، المطلب الرابع: حدود التضمين، عند النحويين والبلاغيين والمفسرين، كلٌّ بحسب منهجه.
- **المبحث الثاني: تطبيقات التضمين في ديوان الحماسة.** وفيه مطلبان: الأول: ما يحتاج تضمين معناه لحرف الجر، واشتمل على أمثلة من ديوان (الحماسة) لأفعال احتاجت لحرف جر في تضمين معناها، والثاني: ما لا يحتاج تضمين معناه لحرف جر، واشتمل على أمثلة من ديوان (الحماسة) لأفعال لم تحتجْ لحرف جر في تضمين معناها.
- **خاتمة الدراسة:** أهم النتائج التي توصل إليها، والتوصيات التي يوصي بها، وقائمة بمراجع الدراسة.

المبحث الأول: تأصيل مصطلح التضمين وبيان حدوده

المطلب الأول: التعريف بأبي تمام

أورد (ابن الأنباري) أن اسمه "هو حبيب بن أوس بن الحارث بن القيس.

وقال إدريس بن يزيد: قال لي تمام بن أبي تمام الطائي: ولد أبي سنة ثمان وثمانين ومائة، ومات سنة إحدى وثلاثين ومائتين" (ابن الأنباري، 124).

وأورد (ابن خلكان) اسمه ونسبه مفصَّلين، فقال: " أبو تمام حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس بن الأشج بن يحيى بن مروان بن مر بن سعد بن كاهل بن عمرو بن عدي بن عمرو بن الغوث بن طيىء - واسمه جلهمه- بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن يشجب ابن يعرب بن قحطان الشاعر المشهور" (ابن خلكان، 11/2).

وأورد (الذهبي) أنه قد "أسلم، وكان نصرانيًّا. مدح الخلفاء والكبراء. وشعره في الذروة، وكان أسمر، طوالًا فصيحًا، عذب العبارة مع تمتمة قليلة، ولد في أيام الرشيد" (الذهبي، 119/9).

وأورد (البغدادي) أنه "شامي الأصل، كَانَ بمصر فِي حداثته، يسقي الماء فِي المسجد الجامع، ثُمَّ جالَس الأدباء، فأخذ عنهم، وَتعلم منهم، وَكَانَ فطنًا فهِمًا، وَكَانَ يحب الشعر، فلم يزل يعانيه حتى قَالَ الشعر فأجاد، وَشاع ذكره وَسار شعره، وَبلغ (المعتصم) خبره، فحمله إليه وَهُوَ بـ (سر من رأى)، فعمل أَبُو تمام -فيه- قصائد عدة، وَأجازه المعتصم، وَقدَّمه على شعراء وَقته، وقدم إِلَى (بَغْدَاد) فجالس بها الأدباء" (البغدادي، 242/8).

وفي مكانته الشعرية، أورد (كاتب جلبي) أنه قد "سئل الشريف الرضي عن أبي تمَّام والبحتري والمُتَنَبِّي، فقال: "أما أبو تمَّام فخطيب منبر وأما البحتري فواصف جؤذر وأما المتنبي فقائد عسكر" (كاتب جلبي، 9/2).

المطلب الثاني: التعريف بديوان الحماسة

هو ديوان ألَّفه (أبو تمام)، وقد جمع –فيه- نفائس ما ورد عن العرب من أشعار، جاء في مقدمة (شرح التبريزي) على الديوان: " بيد أَن مَا روى من شعر الْعَرَب شَيْء كثير لَا يحاط بِهِ وَإِن قصر عَلَيْهِ الْعُمر فَكَانَت الْحَاجة ماسة إِلَى مَجْمُوع يقوم مِنْهَا مقَام الْخُلَاصَة وَلم نجد من ذَلِك أحسن وَلَا أوفى من كتاب الحماسة الَّذِي اخْتَارَهُ ملك الْكَلَام أَبُو تَمام؛ فقد كَانَ للرجل من المحفوظات مَا لَا يلْحقهُ فِيهِ غَيره. قيل إِنَّه كَانَ يحفظ أَرْبَعَة عشر ألف أرجوزة للْعَرَب غير القصائد والمقاطيع. هَذَا عدا مَا اطلع عَلَيْهِ فِي خزانَة كتب أبي الْوَفَاء الْعَظِيمَة الَّتِي جمع مِنْهَا هَذَا الْكتاب" (التبريزي، 3)، وهو ما يدل على نفاسة الكتاب، وقيمته الفنية والأدبية.

وقد تعددت الشروح على (ديوان الحماسة)، ومن شرَّاح (ديوان الحماسة): القدماء المرزوقي والتبريزي

"القاضي نجف علي الجهجهري" (الطالبي، 1120/7)، "الشيخ الفاضل ذو الفقار علي بن فتح علي الحنفي الديوبندي أحد العلماء المشهورين في الفنون" (الطالبي، 1225/8)، "مولانا فيض الحسن السهارنبوري" (الطالبي، 1328/8)، "الشيخ محمد بن أحمد الطوكي" (الطالبي، 1337/8)، "محمد بن زاكور، وله (النفاسة في شرح ديوان الحماسة)" (كحالة الدمشقي، 145/11).

وقد عني المستشرقون بتأليف الدراسات في (ديوان الحماسة)، ومنهم "فْرَيْتاخ، جيؤرج فيلهلم فريتاخ، مستشرق ألماني. ولد في (لونبرغ)، وتتلمذ باللغات الشرقية للمستشرق دي ساسي بباريس. فتعلم العربية والتركية والفارسية" (الزركلي، 149/2).

ويشير ما سبق إلى احتفاء الدارسين، عبر العصور، بديوان الحماسة؛ لما له من قيمة كبيرة، أدركها أولئك الشرَّاح والمؤلفون، على تباعد أماكنهم، واختلاف أزمنتهم وعصورهم.

وسوف نتناول ظاهرة (التضمين النحوي) في الأبيات الواردة بالديوان، وذلك على ما يأتي، بإذن الله تعالى:

المطلب الثالث: تأصيل المصطلح

احتفى البلاغيون والنحويون بالتضمين في مؤلفاتهم، وذلك على ما يأتي:

لم يذكر (سيبويه) المصطلح، وإن كان قد ألمح إليه، إذ يوضح أن من طبيعة العرب أن يجعلوا الكلام على غير حاله في كلامهم (سيبويه، 51/1)، وهو ما يبين أن العرب تحيل معاني مقصودة – بعينها- على ألفاظ لا يدل ظاهرها على تلك المعاني.

وأورد الأخفش، في معرض تناوله لقول الله تعالى: ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ وَمَساجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيراً)) (الحج: 40)، ما نصه: "وقال: {لَهُدِّمَتْ صَوامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَواتٌ}، فالصلوات لا تهدم ولكن حمله على فعل آخر، كأنه قال: (وتركت صلوات)" (الأخفش، 451/2)، وهو ما يبين طبيعة (التضمين)، من حيث حمل معنى لفظ على آخر.

وتناول (المبرد) التضمين، في معرض حديثه عن اتساع معاني الحروف، فقال: " وَقد يَتَّسِع القَوْل فِي هَذِه الْحُرُوف وَإِن كَانَ مَا بدأنا بِهِ الأَصْل نَحْو قَوْلك: زيد ينظر فِي الْعلم، فصيرت الْعلم بِمَنْزِلَة المتضمن، وَإِنَّمَا هَذَا كَقَوْلِك: قد دخل عبد الله فِي الْعلم وَخرج مِمَّا يملك.

وَمثل ذَلِك فِي يَد زيد الضَّيْعَة النفيسة، وَإِنَّمَا قيل ذَلِك؛ لِأَن مَا كَانَ محيطًا بِهِ ملكه بِمَنْزِلَة مَا أحيطت بِهِ يَده، وَ(رُبَّ) مَعْنَاهَا: الشَّيْء يَقع قَلِيلًا، وَلَا يكون ذَلِك الشَّيْء إِلَّا منكورا لِأَنَّهُ وَاحِد" (المبرد، 139/4)، مما يدخل في التضمين، باعتبار اتساع المعاني، فيتم حمل معنى معين على لفظ لا يدل ظاهره على ذلك المعنى.

وأورد الفارسي، في تناوله لقوله تعالى: ((وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ أَنْ تَعْتَدُوا)) (المائدة: 2)، تعدية (شنآن)؛ لتضمنه معنى (أبغض)، فيقول: "ومما يقوي ذلك: أن شنأته في المعنى مثل: أبغضت، فلما كان بمعناه عدّي كما عدّي أبغضت، كما أنّ الرفث لما كان بمعنى الإفضاء عدّي بالجار كما عدي الإفضاء به.

ومما يدل على تعدَّيه ما حكاه أبو زيد في مصدره في الشَّنء والشُّنء، فالشنء مثل: الشَّتم، والشنء مثل الشغل" (الفارسي، 198/3)، وهو ما يشير –صراحة- إلى تضمن لفظ (الشنء) معنى (البغض)، فكأنه أراد على ما يقول (الفرَّاء):" لا يحملنكم بغض قومٍ، فالوجه إِذَا كَانَ مصدرًا أن يثقل، وَإِذَا أردت بِهِ بغيض قوم قلت: شنآن" (الفراء، 300/1).

وقد أسهم (ابن جني) في تحديد معنى التضمين، إذ قال، في تناوله "فصل في الحَمْل على المعنى: اعلم أن هذا الشَرْج غور من العربية بعيد، ومذهب نازح فسيح. قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورًا ومنظومًا؛ كتأنيث المذكر، وتذكير المؤنث، وتصوير معنى الواحد في الجماعة، والجماعة في الواحد، وفي حمل الثاني على لفظ قد يكون عليه الأول أصلًا كان ذلك اللفظ أو فرعًا" (ابن جني، 413/2)، مما يبين- لنا- كثرة الأبواب التي تندرج تحت باب التضمين.

وفي موضع آخر، تناول (ابن جني) تضمين فعل معنى فعل آخر، سواء بالحمل على المعنى، أو التعدية بحرف الجر، فقال: " وذلك كقول الله -عز اسمه: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ} (البقرة: 187)، وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء، وكنت تعدي أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة، جئت بـ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه" (ابن جني، 310/2).

ويشير النص السابق إلى تعدِّي الفعل (رفث) بوساطة حرف الجر (إلى)؛ لتضمنه معنى الإفضاء.

وتناول (الزمخشري) التضمين، في الفعل (يألو)، في معرض تفسيره لقوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ)) (آل عمران: 118)، فقال: "يقال: ألا في الأمر يألو، إذا قصر فيه، ثم استعمل معدّى إلى مفعولين في قولهم: لا آلوك نصحا، ولا آلوك جهدا، على التضمين" (الزمخشري، 406/1).

وفي معرض تفسيره لقوله تعالى: ((وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا)) (الكهف: 27)، ذكر تضمن الفعل (تعدُ) معنى الفعل (تعلُ)، فقال: " فإن قلت: أي غرض في هذا التضمين؟ وهلا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو لا تعل عيناك عنهم؟ قلت الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذ..... ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك، مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ((وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلى أَمْوالِكُمْ)) (النساء: 2)، أي: ولا تضموها إليها آكلين لها. وقرئ: ولا تعد عينيك، ولا تعدَّ عينيك، من أعداه وعدَّاه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو" (الزمخشري، 717/2).

وتناول (ابن يعيش) التضمين، من حيث الدلالتين: الزمانية والمكانية، فقال: " والزمان أقوى من المكان، لأن دلالة الفعل على الزمان دلالة لفظية، ولذلك يختلف الزمان باختلاف اللفظ، فدلالته عليه تضمين، ودلالته على المكان ليست من اللفظ، وإنما هي من خارج، فهي التزام، ودلالة التضمين أقوى، فأنت إذا قلت: "ذهب"، فهذا اللفظ بني ليدل على حصول الذهاب في زمن ماض، وإذا: قلت: "يذهب"، فهو موضوع للذهاب في زمن غير ماض، وليس كذلك المكان، فإن لفظ الفعل لا يدل عليه، ولا يحصل لك مكانا دون مكان. ولذلك يعمل الفعل في كل شيء من الزمان عمله، ولا يعمل في كل شيء من المكان هذا العمل" (ابن يعيش، 304/4).

أما التضمين عند (أبي حيان)، فلا ينقاس، أي: يتم تقديره بحسب الاحتياج إليه، ومن ذلك عدم قوله بالتضمين، في قوله تعالى: ((فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)) (البقرة: 178)، إذ ذكر قول (الزمخشري)، فقال: " قال الزمخشري: فإن قلت: فقد ثبت قولهم: عفا أثره إذا محاه وأزاله، فهلا جعلت معناه: فمن محي له من أخيه شيء؟ قلت: عبارة قيلت في مكانها، والعفو في باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة، في الكتاب والسنة، واستعمال الناس، فلا يعدل عنها إلى أخرى قلقة نائية عن مكانها، وترى كثيرًا ممن يتعاطى هذا العلم يجترىء إذا عضل عليه تخريج المشكل من كلام الله على اختراع لغة. وادعاء على العرب ما لا تعرف، وهذه جرأة يستعاذ بالله منها" (أبو حيان، 149/2-الزمخشري، 222/1). فأبو حيان لا يأخذ بالتضمين إلا عند الحاجة إليه.

وتناول (المبرد) التضمين من المنظور البلاغي، الذي يُدرج التضمين كمبحث بلاغي، وذلك في قول عبيد بن أيوب العنبري:

أَهابوا بِهِ فَازْدادَ بُعْدًا وَصَدَّهُ * عَنِ القُرْبِ مِنْهُمْ ضَوْءُ بَرْقٍ وَوابِلُه**

فيقول: "وقوله: (ضوء برق ووابله)، أراد: صده عنهم ضوء برقٍ ووابله، فأضاف الوابل من المطر إلى البرق، وإنما الإضافة إلى الشيء على جهة التضمين، ولا يضاف الشيء إلى الشيء إلا وهو غيره أو بعضه" (المبرد، 271/1).

وتناول (حبنكة) التضمين في القرآن، فقال: " ومنها ما يُسمَّى "التضمين" وأظْهَرُهُ تضمين فعل أو ما في معناه، معنى فعل آخر، وتعديته بما يلائم الفعل الذي ضُمِّنَه، مثل قول الله عزّ وجلّ في سورة البقرة: (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصيام الرفث إلى نِسَآئِكُمْ...) (البقرة: 187).

و"الرَّفَثُ: لا يتعَدَّى بحرف الجرّ (إلى)، لكنَّه ضُمِّنَ معنَى فعل (أفْضَى)، فَعُدِّيَ تَعْدِيتَهُ، والمعنى: أُحِلَّ لكم الرفث مُفْضِين به إلى نسائكم، فأغنى هذا الأسلوب التضميني عن التعبير بجُمْلَتين، أو عن التصريح بالحال" (حبنكة، 309/2).

وهناك كثير ممن أصَّلوا للمصطلح، بما لا يتسع المقام لذكرهم، ويجدر –بنا- بعد تأصيل المصطلح- تناول حدود التضمين، عند النحويين والبلاغيين والمفسرين.

المطلب الرابع: حدود التضمين في علوم العربية المختلفة

ونعني بـ (حدود التضمين): الحد الفاصل الذي يفصل تعريفات التضمين، عند النحويين، عنه عند البلاغيين والمفسرين.

فقد تناول (ابن عصفور) نيابة بعض الكلمات والحروف عن بعضها، فقال: " وأما إبدال الكلمة من الكلمة فمنه استعمال بعض حروف الخفض موضع بعض، نحو قول القحيف العقيلي:

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيرٍ * لَعَمْرُ اللهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا**

يريد: عني. ونحو قول الراعي:

رَعَتْهُ أَشْهُرًا وَخَلَا عَلَيْهَا * فَطَارَ التي فِيهَا وَاسْتَغَارا**

يريد: وخلالها. وقول أبي ذؤيب:

وَكَأَنَّهُنَّ رِبابةٌ وَكَأَنَّهُ يَسَرٌ ***يُفيضُ عَلَى القِدَاحِ وَيَصْدَعُ (ديوان الهذليين، 6/1).

يريد: يفيض بالقداح " (ابن عصفور، 233).

كذلك، اعتمد النحويون حروف الجر؛ وسيلة للتضمين، كما أورد (السهيلي) تضمين سبّح معنى صلّى:" وإذا أردت التضمين لمعنى الصلاة، دخلت (الباء)؛ تنبيهًا على ذلك المعنى، فنقول: (سبح باسم ربك)، كما تقول: (صل باسم ربك)، أي: مفتتحًا باسمه" (السهيلي، 36).

وتشير الفقرة السابقة إلى اعتماد التضمين على تقديرات النحويين، مع كون حرف الجر من الوسائل الرئيسة، التي يتعدى بها الفعل، أو يُبنى عليها التقدير، ومن ذلك ما أورده المرادي، إذ قال: "وتأويل بعضهم ما ورد، من ذلك، على تضمين العامل، وإبقاء إلى على أصلها والمعنى في قوله تعالى " من أنصاري إلى الله ": من يضيف نصرته إلى نصرة الله. وإلى في هذا أبلغ من مع؛ لأنك لو قلت: من ينصرني مع فلان، لم يدل على أن فلانًا –وحده- ينصرك، ولا بد، بخلاف إلى، فإن نصرة ما دخلت عليه محققة واقعة، مجزوم بها. إذ المعنى على التضمين: من يضيف نصرته إلى نصرة فلان" (المرادي، 386).

وهو ما يتماس مع الحدود البلاغية له؛ من حيث اندراجه تحت أبواب: المجاز، والعام والخاص، وغير ذلك مما تختص به علوم البلاغة والبيان، مع مراعاة الفارق، من حيث اعتماد النحويين-في التضمين- على تقدير المحذوف، أما البلاغيون، فيعتمدون على إيجاد العلاقة، بين المضمَّن والمضمَّن فيه.

ومن ذلك ما ورد في كتاب الله تعالى من آيات، كقوله سبحانه: ((قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى)) (طه: 90)، فالعكوف على العجل المعبود ليس هو المقصود، بل المقصود: التقديس والعبادة، كما أورد (الماتريدي)، إذ قال: "أي: لن نزال على عبادة العجل مقيمين حتى يرجع إلينا موسى" (الماتريدي، 302/7)، مما يبين تضمن لفظ (عاكفين) معنى (مقدِّسين- عابدين).

وقد تكون العلاقة بين المضمَّن والمضمَّن فيه علاقة الجزء بالكل، وهو ما يحيل التضمين إلى باب (المجاز المرسل)، كقوله تعالى: ((بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ)) (الأنعام: 41)، فتضمن (الدعاء) معنى (الضراعة والتوسل والتذلل)، فعبر بالكل وأراد الجزء، ويؤكد ذلك ما أورده (القشيري)، إذ قال: "أي: إنكم- إن تذللتم بنفوسكم أو فكرتم طويلًا بقلوبكم- لن تجدوا من دونه أحدًا، ولا عن حكمه ملتحدًا، فتعودون إليه في استكشاف الضر، واستلطاف الخير والبرّ" (القشيري، 471/1).

وكذلك قوله تعالى: ((وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا)) (النساء: 5)، حيث تضمن الفعل (ارزقوهم) معنى (الاتجار) بأموال من كانوا تحت الوصاية من الذين لا يعقلون، وهي علاقة سببية؛ كون الاتجار سببًا في الارتزاق، كما أورد (الزمخشري)، إذ قال: " واجعلوها مكانا لرزقهم بأن تتجروا فيها وتتربحوا، حتى تكون نفقتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق" (الزمخشري، 472/1)، فعبَّر بالمسبب، وقصد السبب.

ومن ذلك قول النابغة الذبياني:

فَلا تَتْرُكَنّي بِالوَعِيدِ كَأَنَّنِي * إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ القَارُ أَجْرَبُ** (النابغة: 6)

يقول ابن عصفور: "فإن الفعل إذا عُدِّي، تعدى غيره بالتضمين الذي ذكرناه، كان لذلك سبب؛ وهو كون الفعلين يؤولان إلى معنى واحد، وإذا قُدِّر أن أحد الحرفين وضع موضع الآخر من غير تضمين للعامل فيه معنى ما يتعدى بذلك الحرف، كان وضعه موضعه لغير سبب، فإن لم يمكن التأويل ولا التضمين، اعتقدوا إذ ذاك أن أحد الحرفين" (ابن عصفور: 236).

ويبين ما سبق، حدود التضمين، بين النحويين والبلاغيين، إذ يعتمد النحويون على تقدير المحذوف، من حيث ملاءمة الجار للمجرور للفعل، ومن ثم، يقدَّر المحذوف الذي يناسب الشاهد، أما البلاغيون، فيلائمون ما بين علاقتيْ: المضمَّن والمضمَّن فيه، بحيث يُحال المعنى المضمَّن إلى علاقات الاشتمال، من عام وخاص، أو المجاز المرسل، بعلاقاته المتعددة، من جزئية وكلية، وغير ذلك، بينما يتوسط المفسرون، فيأخذون من أولئك وهؤلاء؛ إذ مناط الحكم مراد النص، وحيثما وُجِدت القرينة، نحوية كانت أم بلاغية، فلا حرج عليهم من الأخذ بها، طالما توافقت مع النقل المتواتر، على النحو الذي أوردنا أمثلته في الفقرات السابق ذكرها.

المبحث الثاني: تطبيقات التضمين في كتاب الحماسة

المطلب الأول: ما يحتاج تضمين معناه لحرف الجر

1- قول بشامة النهشلي:

إِنَّا بَنِي نَهْشَلٍ لَا نَدَّعِي لِأَبٍ * عَنْهُ، وَلَا هُوَ بِالأَبْنَاءِ يَشْرِينَا**

(أبو تمام، 20).

إذ لا يتعدى الفعل (يدَّعي) بحرف الجر (اللام)، يقول (ابن فارس): "(دعو) الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد، وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك. تقول: دعوت أدعو دعاء. والدعوة إلى الطعام بالفتح" (ابن فارس، 279/2)، فدلَّت الفقرة على أن الجذر اللغوي للفعل يتعدى بحرف الجر (إلى)، لا (اللام).

قال (المرزوقي): "ندعي: نفتعل من الدعوة. وقوله: (عنه): تعلق به. ويقال: ادَّعى فلانٌ في بني هاشمٍ، إذا انتسب إليهم؛ وادعى عنهم، إذا عدل بنسبه عنهم. وهذا كما يقال: رغبت في كذا ورغبت عن كذا. وقوله: (لأبٍ)، أي: من أجل أبٍ ولمكان أبٍ. وانتصاب (بني) على إضمار فعل" (المرزوقي، 77)، فكان التضمين في التعدية بحرف الجر (اللام)، بدلًا من (إلى).

وعلى هذا، جاء قوله تعالى: ((أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ)) (البقرة: 221)، حيث جاء جذر الفعل (دعو) مقرونًا بحرف الجر (إلى)، لا (عن).

2- قول ابن أخت تأبَطَ شرًّا:

بَزَّنِيَ الدَّهْرُ وَكَانَ غَشُومًا * بأبيّ جَارُهُ مَا يُذَلُّ**

إذ يأتي الفعل (بزَّ) متعديًا إلى مفعولين، يقول (ابن الأثير الشيباني): "البزيزى- بكسر الباء وتشديد الزاي الأولى والقصر-: السلب والتغلب. من بزه ثيابه وابتزه إذا سلبه إياها" (ابن الأثير الشيباني، 124/1)، وقال (الزبيدي): " البز: الغلبة والغصب، بزَّه يبزُّه بَزا، كالبزيزى، كخليفى. البز: النزع والسلب، يقال: بز الشيء، يبزُّه بزًّا: انتزعه. البز: أخذ الشيء بجفاء وقهر" (الزبيدي، 29/15).

وقد أورد (الزمخشري) الفعل (بزَّني) متعديًا لمفعولين، على لسان (ابن برد)، إذ يقول:

لَئِنْ كَانَ فَضْلٌ بَزَّنِي الأَرْضَ ظَالِمًا * لِقَبْلِي مَا أَرْدَى عُبَيْدَ بنَ صَالِحِ**

(الزمخشري، ربيع الأبرار، 3520/3).

وأورد (المقري) للأديب أبي القاسم بن العطار:

أَسْلَمَنِي لِلْهَوَى فَوَا حَزَنِي * أَنْ بَزَّنِي عِفَّتِي وَإِسْلَامِي**

(المقري، 302/4).

وجاء التضمين في اقتران الفعل (بزز) بحرف الجر (الباء)، وهو ما يعدُّ تضمينًا لمعنى الفعل (غالي)، إذ اقترن الفعل بمعنى الصدمة والفجيعة، وقد شرح (المرزوقي) البيت فقال: " يعني بالخبر نعي المتوفى؛ وقد استعظمه وجعله داهيةً منكرةً حتى علا شأنه وجل عن أن يضبط بوصفٍ، أو يحد بنعت" (المرزوقي، 587)، بما يحيل إلى معنى فجيعة الشاعر في والده.

3- قول سعد بن ناشب:

سأغسل عني الْعَار بِالسَّيْفِ جالبا * عَليّ قَضَاء الله مَا كَانَ جالبا**

(أبو تمام، 16).

وقد تعدَّى الفعل (أغسل) إلى مفعول واحد؛ عن طريق حرف الجر (عن)، رغم أنه يتعدى بحرف الجر (إلى)، قال تعالى: ((فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ)) (المائدة: 6)، فالغسل يحتاج إلى حد أو غاية يبلغه، كما أورد (الطبري)، في تفسير الآية، إذ قال: " فكذلك المرافق في قوله: {فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق} غاية لما أوجب الله غسله من اليد" (الطبري، 184/8).

وتناول (الزجاج) فائدة مجيء الفعل (غسل) مع حرف الجر (إلى)، في الآية، فقال:

"فذكر الحدَّ في الغسل لليد إلى المرافق، ولليد من أطراف الأصابع إلى الكتفِ، ففرض علينا أن نغسل بعض اليد من أطراف الأصابع إلى المرفق، فالمرفق منقَطِع مما لا يُغْسَل ودخل فيما يُغْسَل.

وقد قال بعض أهل اللغة معناهُ مع المرافق، واليَدُ المرفق داخل فيها، فلو كان اغسلوا أيديَكم مع المرفَق، لم تكن في المرافق فَائِدة وكانت اليد كلها يجب أن تغسل، ولكنه لما قيل إلى المرافق اقتطعت في الغسل من حَد المِرفق" (الزجاج، 153/2).

ولم يكن البيت محل استشهاد للنحويين في باب التضمين، إلا أن (التبريزي)، في شرحه للديوان، كان الأقرب لذلك، إذ قال: " سأغسل أَي: سأزيل والعار كل شَيْء لزم بِهِ عيب يَقُول سأزيل الْعَار عَن نَفسِي بِاسْتِعْمَال السَّيْف فِي الْأَعْدَاء فِي حَال جلب حكم الله عَليّ مَا يجلبه" (التبريزي، 15)، وهو ما يندرج تحت باب التضمين، إذ تضمن الفعل (أغسل) معنى الفعل (أزال).

4- قول نهشل بن حري:

وَلَكِنْ أَبَى قَوْمٌ أُصِيبَ أَخُوهُمُ * رِضَى العَارِ فَاخْتَارُوا عَلَى اللَّبَنِ الدَّما**

(أبو تمام، 39).

إذ يأتي الفعل (اختار) متعديًا بحرف الجر (من)، ومتعديًا بنفسه، و"يقال خايرت فلانًا فخرته. وتقول: اختر بني فلان رجلًا" (ابن دريد، 33/2).

وقد يتعدى الفعل إلى مفعولين؛ بحذف حرف الجر (من)، قال تعالى: ((وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا)) (الأعراف: 155)، يقول (سيبويه)، مستشهدًا بالآية: باب " الذي يَتعَّداهُ فعلُه إلى مفعولين فإن شئت اقتصرتَ، على المفعول الأول وإن شئت تعدّى إلى الثاني كما تعدى إلى الأول، وذلك قولك: أعطَى عبدُ الله زيداً درهماً، وكسوتُ بشرًا الثَّيابَ الجيادَ. ومن ذلك: اخترتُ الرجالَ عبدَ الله" (سيبويه، 37/1).

وقال (الأخفش): "وقال {واختار موسى قومه سبعين رجلا} أي: اختار من قومه، فلما نزع "من" عمل الفعل. وقال الشاعر: [من الطويل وهو الشاهد الرابع عشر]:

مِنَّا الذِي اخْتِيرَ الرِّجَال سَمَاحَةً * وَجُودًا إِذَا هَبَّ الرِّيَاحُ الزَّعَازِعُ"**

(الأخفش، 339/1).

وبناء على ما سبق، فإن الفعل (اختاروا)، في البيت، متضمن معنى الفعل (آثروا).

وأرى احتمال تضمن الفعل (اختاروا) معنى الفعل (فضَّلوا)؛ لورود معنى المفاضلة بين خيارين.

5- قول صنَّان بن عُباد اليشكري:

لَوْ كَانَ حَوْضَ حِمارٍ مَا شَرِبْتُ بِهِ * إِلَّا بِإِذْنِ حِمارٍ آخِرَ الأَبَدِ**

(أبو تمام، 143).

إذ ورد الفعل (شرب) متعديًا بنفسه، لا يتعدى بحرف جر، يقول ابن فارس: " الشين والراء والباء أصل واحد منقاس مطرد، وهو الشرب المعروف، ثم يحمل عليه ما يقاربه مجازًا وتشبيهًا. تقول: شربت الماء أشربه شربًا" (ابن فارس، 267/3).

وقد يأتي لازمًا، ويتعدى بحرف الجر (من) كما في قوله تعالى: ((إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا)) (الإنسان: 5)

وجاء التضمين في تعدية الفعل (شرب) بحرف الجر (الباء)، وهو ما يدل على تضمن الفعل (شرب) معنى الفعل (أقام- ارتوى)، وهو مقتضى المكوث للشرب، إذ شرح (التبريزي) البيت قائلًا: "لَو كَانَ حمَار مَوْجُودًا مَا كنت تشرب من الْحَوْض مَا عِشْت إِلَّا بِإِذْنِهِ" (التبريزي، 332/1)، وهو ما يدل على الإقامة على الشرب، والارتواء من ماء الحوض.

وقد أورد (ابن سيده) ما يؤيد هذا التوجيه، في معرض تناوله لقول الشاعر:

" شَرِبْنَ بِمَاءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ * مَتَى حَبَشِيَّاتٌ لَهُنَّ نَئِيجُ**

قاله واصفًا سحابًا شربن ماء البحر، ثم تصعدن فأمطرن وروين، والباء في قوله: (بماء البحر) زائدة، إنما هو شربن ماء البحر قال ابن جني هذا هو الظاهر من الحال، والعدول عنه تعسف، قال: وقال بعضهم شربن من ماء البحر، فأوقع الباء موقع من وعندي أنه لما كان شربن في معنى روين وكان روين مما يتعدى بالباء عدى شربن بالباء ومثله كثير منه" (ابن سيده، 52/8)، وهو ما يدل على تضمن الفعل (شرب) معنى (ارتوى).

المطلب الثاني: ما لا يحتاج تضمين معناه لحرف الجر

ورد في (ديوان الحماسة) كثير من الأفعال التي تعدَّت إلى مفعول واحد؛ عن طريق حرف الجر، ومن ذلك ما يأتي:

1- قول محرز بن المكعبر الضبي:

نَجَّى ابْنُ نُعْمَانَ عَوْفًا مِنْ أَسِنَّتِنَا * إِيغَالُهُ الرَّكْضَ لَمَّا شَالتِ الجِذَمُ**

(أبو تمام، 102).

وقد ورد المصدر (إيغاله) متعديًا بنفسه، وحقه الاقتران بـ (في)، أو اللزوم، يقول (الخليل بن أحمد): " وأَوْغَلَ القومُ، أي: أَمْعنوا في سَيْرهم داخلينَ في جبالٍ أو أرضٍ من العدو" (الفراهيدي، 448/4).

وأورد (الهروي) ما نصه: " قَالَ الْأَصْمَعِي وَغَيره: قَوْله: فأوغل فِيهِ بِرِفْق الإيغال: السّير الشَّديد والإمعان فِيهِ يُقَال مِنْهُ: أوغلت أوغل إيغالًا" (الهروي، 27/2).

وهو ما يوضح تضمن الفعل (أوغل) معنى (أسرع)، ويكون (الركض) منصوبًا على نزع الخافض، ويقوي هذا التوجيه ما جاء في شرح الديوان، ما نصه: " والإيغال: الْإِسْرَاع فِي إبعاد" (التبريزي، 223/1).

2- قول حريت بن عناب النبهاني:

ضَرَبْنَا حَتَّى إِذَا قَامَ مَيْلُكُمْ * ضَرَبْنَا العِدَى عَنْكُمْ بِبِيضٍ صَوَارِمِ**

(أبو تمام، 46).

إذ تعدَّى الفعل (ضرب)، في الشطر الثاني من البيت، بحرف الجر (عن)، رغم أن المسموع عن العرب تعدي الفعل بنفسه، إذ يقول (الأزهري): " ويقال: ضرب البعير جهازه: وذلك إذا نفر فلم يزل يلتبط ينزو حتى طوح عن ظهره كل ما عليه من أداته وحمله" (الأزهري، 16/12).

وقد تضمن الفعل (ضرب)، في الشطر الثاني من البيت، معنى الفعل (دفع-ذبَّ)، فيكون التقدير: " قد دفعناكم بالمكروه، حتى إذا بان لنا فيئتكم واستقامتكم، حينئذٍ، ذببنا الأعداء عنكم بسيوفٍ قواطع. والمعنى: نعاملكم بمعاملة الأعداء، فإذا استقمتم لنا وذهب الخلاف عنكم، ضممناكم إلى أنفسنا، وحمينا عليكم مع الأولياء" (التبريزي، 187)، إذ (ذب العدا) يقتضي (الضرب)، فهي علاقة اقتضاء.

3- قول الأرقط بن دعبل العنبري:

يَلُوذُ أَمَامِي لَوْذَةً بِلَبَانِهِ * وَتُرْهِبُ عَنَّا نَبْعَةً وَيَمَانِي**

(أبو تمام، 124).

إذ يأتي الفعل (أرهب) متعديًا بنفسه، ولا يحتاج إلى حرف الجر، نقول: "رَهِبْتُ الشَّيءَ أَرْهَبُهُ رَهَباً ورَهْبةً، أي: خفته. وأَرْهَبْت فلانًا والرَّهْبانِيّةُ: مصدرُ الرّاهب، والتَّرَهُبُ: التَّعَبُّدُ في صَوْمَعةٍ، والجميع: الرَّهبان والرَّهابِنةُ خطأ. والرَّهْبُ- جزم- لغة في الرَّهَب، والرَّهْباءُ: اسمٌ من الرَّهَبِ، تقول: الرَّهباء من الله، والرَّغْباءُ إليه، والنَّعْماءُ منه. ورَهَبُوت خيْر من رَحَمُوت" (الفراهيدي، 47/4).

ويقوي النص القرآني تعدي الفعل بنفسه، قال تعالى: ((وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ)) (الأنفال: 60)، فقد ورد الفعل (ترهبون) متعديًا بنفسه، لا يحتاج إلى جار ومجرور.

مما يدل على تضمن الفعل (ترهب) معنى الفعل (تمنع)، وهو ما يبينه شرح البيت، إذ " كنَّى بقوله: وترهب عَنَّا... الخ عَن عدم وُصُول الرماح وَالسُّيُوف إِلَيْهِم" (التبريزي، 282/1).

4- قول عمرو بن معدي كرب الزبيدي:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرِّمَاحِ دَرِيئَةٌ * أُقَاتِلُ عَنْ أبناءِ جَرْمٍ وفرَّتِ**

(أبو تمام، 28).

إذ جاء الفعل (قتل) متعديًا بحرف الجر (عن)، رغم أنه يتعدى بنفسه، "يقال: قتله: إذا أماته بضرب أو حجر أو سم أو علة" (الأزهري، 62/9).

والنص القرآني يؤيد تعدي الفعل بنفسه، قال تعالى: ((فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ)) (التوبة: 83)، فجاء الفعل متعديًا بنفسه.

وبناء على ما سبق، فقد تضمن الفعل (أقاتل)، في البيت، معنى الفعل (أدافع)، وهو ما يقويه شرح البيت، وكأنه "يقول: بقيت نهاري منتصبًا في وجوه الأعداء، والطعن يأتيني من جوانبي، وكأني للرماح بمنزلة الحلقة التي يتعلم عليها الطعن، أذب عن جرمٍ وقد هربت هي" (المرزوقي، 120).

5- قول الرقاد بن المنذر بن ضرار الضبي:

فِدَىً لِفَتًى أَلْقَى إِلَيَّ بِرَأْسِهَا * تلادِي وَأَهْلِي مِنْ صَدِيقٍ وَجَامِلِ**

(أبو تمام، 100).

إذ يأتي الفعل (ألقى) متعديًا بنفسه، يقول (ابن القطاع): "و (ألقيتُ) الشيءَ: طرحتُه والسمعَ: تسمعَّت والله تعالى الشيءَ في القلوب: قذفه، والقرآن: أنزله والمسائلَ والحسابَ: على الإنسان" (ابن القطاع، 150/3).

وقد ورد الفعل (ألقى) متعديًا بنفسه في القرآن الكريم، قال تعالى: ((إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)) (ق: 37).

وكذلك قوله تعالى: ((اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ)) (النمل: 28)، جاء الفعل (ألقه) متعديًا بنفسه.

وبناء على ما سبق، فقد جاء الفعل (ألقى) متضمنًا معنى الفعل (قذف)، فيكون التقدير: قذف، وهو المناسب لمقام العطية والتكرم، وبذلك المعنى جاء المعنى في شرح (المرزوقي)، إذ قال: " ألْقى إِلَيَّ برأسها أَي: وَهبهَا لي" (المرزوقي، 219/1).

6- قول عبد الله بن عنمة الضبي:

لَا تَجْعَلُونَا إِلَى مَوْلَىً يَحُلُّ بِنَا * عِقْدَ الحِزامِ إِذَا مَا لِبْده مَالَا**

(أبو تمام، 104).

إذ يأتي الفعل (جعل) متعديًا إلى مفعولين بنفسه؛ لكونه من (أفعال القلوب)، يقول (ابن الصائغ): "ومنه (جعل)، كقولك: (جعل زيد عمرًا صديقًا).

فهذه الأفعال معانيها قائمة بالقلب؛ وكل ما جاز أن يكون خبرًا لمبتدأ يجوز أن يكون المفعول الثاني لهذه الأفعال" (ابن الصائغ، 338/1).

وجاء التضمين في تعدّي الفعل (جعل) بحرف الجر (إلى)، قال تعالى: ((فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ)) (الحجر: 74)، فتعدَّى الفعل – في الآية- بنفسه.

وأورد (العيني) الأفعال التي تنصب مفعولين، ومنهم (جعل)، فقال: " من الأفعال التي تنصب مفعولين أفعال التحويل والتصيير وهي التي تدل على الانتقال من حالة إلى أخرى وهي: صبر وجعل وتخذ واتخذ وترك ورد" (العيني، 875/2).

وأرى أن الفعل (تجعلونا) يتضمن معنى الفعل (تكِلونا)، فقد أورد (المرزوقي) ما يدخِل التضمين في الفعل، إذ قال: " تلافوا أمرنا ولا تكلوه إلى ناصرٍ يؤثر صلاح حاله وإن فسد حالنا، ويروم انتعاشه وإن سقطنا، ويسوى لبده إذا اعوج وزال عن مقره بنا" (المرزوقي، 416).

7- قول السموأل بن عادياء:

عَلَونْا إلى خيرِ الظهُورِ وحطَّنا * لوقتٍ إلى خيرِ البطُونِ نِزُولُ**

(أبو تمام، 22).

فالفعل (علا) تعدَّى- في البيت- بوساطة حرف الجر (إلى)، وحقُّه اللزوم، يقول (ابن دريد): "والعلو: مصدر علا يعلو علوا. وتسمي العرب العالية علوا، فيقولون: جاء من علو يا هذا" (ابن دريد، 950/2)، فلم يسمع – عن العرب- تعديتهم الفعل، ومن ثم، فإن الفعل (ندعي)، في البيت، قد تضمن معنى الفعل (ننتسب)، إذ جمعت بين المعنيين علاقة الاقتضاء؛ لأن الادعاء يقتضي معنى الانتساب.

8- قول المثلَّم بن رياح:

سَأَكْفِيكَ جَنْبِي وَضْعَهُ وَوِسَادَهُ * وَأَغْضَبُ إِنْ لَمْ تُعْطِ بِالحَقِّ أَشْجَعَا**

(أبو تمام، 72).

إذ يأتي الفعل (أعطى) متعديًا لمفعولين بنفسه، يقول (ابن السرَّاج): " ولك أن تقتصر على أحدهما وذلك قولك: "أعطى عبد الله زيدا درهمًا، وكسا عبد الله زيدا جبة، واختار عبد الله الرجال زيدًا" (ابن السراج، 282/2).

وجاء التضمين في تعدية الفعل (أعطى) بالباء؛ لتضمنه معنى (تعامل)، فالإعطاء – في البيت- بالحق يتضمن معنى (المعاملة) و(الحكم).

9- قول سويد بن مشنوء:

دَعِي عَنْكِ مَسْعُودًا فَلَا تَذْكُرِنَّهُ * إِلَيَّ بِسوءٍ وَاعْرِضِي لِسَبِيلِ**

(أبو تمام، 293).

إذ جاء الفعل (ذكر) متعديًا بحرف الجر (إلى)، رغم أنه يتعدى بنفسه، قال (الجوهري): " وذكرت الشيء بعد النسيان، وذكرته بلساني وبقلبي، وتذكرته. وأذكرته غيري وذكرته، بمعنى" (الجوهري، 665/2).

ويدل سياق البيت على تضمن الفعل (تذكري) معنى الفعل (تمَسِّي)، فيكون التقدير، فلا تمسِّي مسعودًا بسوء، ويقوي هذ التوجيه ما ورد في شرح البيت، من معنى: "لا ينتهين ذكره إليَّ، ولا يتجاوزن ذكره إليَّ بسوء. فعدَّى تذكرن تعدية تتجاوزن إلي، حملاً على المعنى" (المرزوقي، المرزوقي، 1021).

الخلاصة:

انتهينا –بحول الله وقوته- من الموضوع محل البحث، وهو (ظاهرة التضمين النحوي في ديوان الحماسة، لأبي تمام الطائي: دراسة تطبيقية في مصادر التفسير والنحو والبلاغة)، وقد انتهى الباحث إلى جملة من النتائج، وهي:

- شاعت ظاهرة التضمين في أبيات الديوان، بما يدل على تواطؤ العرب على تلك الظاهرة في كلامهم، وجريانها على ألسنتهم، ومن ثم، ذيوعها في أشعارهم.
- اشتمال النص القرآني على شواهد عديدة للتضمين، وهو ما جاء مؤيِّدًا لكثير من الشواهد الشعرية، التي تناولناها بالدراسة في البحث، على النحو الذي أوردناه آنفًا.
- تعامل النحويون والبلاغيون، مع ظاهرة التضمين، كلٌّ بمنظوره؛ وفقًا لأدواته، فاتخذ التضمين –بذلك- أنماطًا مختلفة، في تعامل كل من الفريقين مع شواهده.
- اعتمد النحويون آليات نحوية معينة، تناسب اتجاههم النحوي، من تقدير محذوف، وتوجيه الجملة تبعًا لذلك، مع إيلاء حروف الجر النصيب الأكبر من الاهتمام؛ باعتبارها عاملًا مهما في توجيه المعنى؛ وفقًا لما ورد –من استخدامها- على ألسنة العرب.
- اعتمد البلاغيون والمفسرون –منهم- آليات بلاغية معينة، تناسب اتجاههم البلاغي، فاندرج التضمين –بذلك- ضمن مباحث بلاغية، مثل: مراعاة العام والخاص، والعلاقة بين الجزء والكل، بما يحيل المضمَّن والمضمَّن فيه إلى علاقات المجاز المرسل.
- انقسمت شواهد التضمين النحوي في (ديوان الحماسة) إلى: ما لا يحتاج لحرف الجر، أي: الأفعال التي تتعدى بنفسها من دون حرف جر، وما يحتاج إلى حرف الجر، أي: أفعال وردت –في الاستعمال- مقرونة بحرف جر معين، وتضمنت معاني أفعال أخرى، مما تطلب مجيئها مقرونة بحرف جر آخر؛ وفقًا للمعنى المضمَّن الجديد.

التوصيات:

1. تجميع الدراسات التي تناولت ظاهرة (التضمين) في مؤلَّف واحد؛ ليتسنى للباحثين الاطلاع عليها مجتمعة.
2. متابعة المؤتمرات العلمية التي تناقش ظاهرة (التضمين)، ونشر النتائج التي توصل إليها المجتمعون في دوريات منتظمة.
3. زيادة الاهتمام بالمباحث التي أثارت خلافًا بين النحويين والبلاغيين، مع بيان موقف المفسرين من تلك القضايا.

فهرس المصادر والمراجع:

- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، لبنان، بيروت.
- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بـ (نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 1420 هـ- 1999م.

- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، ط15، 2002م.
- البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ط1420هـ.
- البلاغة العربية، عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط1، 1416هـ - 1996م.
- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تاريخ بغداد وذيوله: تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي - المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي، للذهبي - ذيل تاريخ بغداد، لابن النجار - المستفاد من تاريخ بغداد، لابن الدمياطي - الرّد على أبي بكر الخطيب البغدادي، لابن النجار، تأليف: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، 1417هـ.
- تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط1، 1422هـ - 2001م.
- تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي، تحقيق: مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1426هـ - 2005م.
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 2001م.
- جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- الجنى الداني في حروف المعاني، أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي، تحقيق: فخر الدين قباوة - محمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ - 1992م.
- الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي، تحقيق: بدر الدين قهوجي - بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح - أحمد يوسف الدقاق، دار المأمون للتراث – دمشق، بيروت، ط2، 1413هـ - 1993م.
- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
- ديوان الحماسة، أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، برواية: أبي منصور، موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي، شرحه وعلَّق عليه: أحمد حسن بسج، منشورات: علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1418هـ-1998م.
- ديوان النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع بن مرّة بن عوف بن سعد، الذبياني، الغطفاني، دن، دط.
- ديوان الهذليين، شعر أبي ذؤيب وساعدة بن جؤبة، دن، دط.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، جار الله الزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط1، 1412هـ.

- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، مصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بـ «كاتب جلبي» وبـ «حاجي خليفة»، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط، إشراف وتقديم: أكمل الدين إحسان أوغلي، تدقيق: صالح سعداوي صالح، إعداد الفهارس: صلاح الدين أويغور، مكتبة إرسيكا، إستانبول – تركيا، 2010م.
- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الحديث- القاهرة، 1427هـ-2006م.
- شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، المعروف بابن يعيش وبابن الصانع، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ - 2001م.
- شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس)، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا، دار القلم، بيروت.
- شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني، تحقيق: غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ - 1987م.
- ضرائر الشِّعْر، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1980م.
- ضرائر الشِّعْر، علي بن مؤمن بن محمد، الحَضْرَمي الإشبيلي، أبو الحسن المعروف بابن عصفور، تحقيق: السيد إبراهيم محمد، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1980م.
- غريب الحديث، أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الدكن، ط1، 1384هـ - 1964م.
- الكامل في اللغة والأدب، محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط3، 1417 هـ - 1997 م.
- كتاب الأفعال، علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي، عالم الكتب، ط1، 1403هـ -1983م.
- كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، تحقيق: مهدي المخزومي - إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1408هـ - 1988م.
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، دار الكتاب العربي، بيروت، ط3، 1407هـ.
- لطائف الإشارات = تفسير القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.
- اللمحة في شرح الملحة، محمد بن حسن بن سِباع بن أبي بكر الجذامي، أبو عبد الله، شمس الدين، المعروف بابن الصائغ، تحقيق: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1424هـ-200م.

- المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ - 2000م.
- معانى القرآن للأخفش، أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق: هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1411هـ - 1990م.
- معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي - محمد علي النجار - عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة، مصر، ط1.
- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
- المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى»، بدر الدين محمود بن أحمد بن موسى العيني، تحقيق: علي محمد فاخر - أحمد محمد توفيق السوداني - عبد العزيز محمد فاخر، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، ط1، 1431هـ - 2010م.
- المقتضب، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.
- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، ط3، 1405هـ - 1985م.
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر- بيروت – لبنان.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.